مؤتمر دولي

التراث الفلسطيني المهدَّد بالخطر

جمعه وحفظه وإعادة بنائه

يومي 18 و19 أيار/مايو 2027

المكان: قاعة مركز اللغات والحضارات، المكتبة الجامعية للغات والحضارات (بولاق)، 65 شارع دي غران مولان، 75013 باريس، فرنسا

Auditorium du Pôle des langues et civilisations, BULAC, 65 rue des Grands Moulins, 75013 Paris, France

أدَّت عمليات التدمير المتواصلة التي يتعرض لها قطاع غزة منذ أكثر من عامين إلى إلحاق أضرار جسيمة بمعظم البنى التحتية الحيوية والهيئات المهنية، فضلًا عن التراث والمواقع الثقافية. وقد أحصت اليونسكو تدمير أكثر من مئة موقع تراثي وأثري وثقافي استهدفته القوات الإسرائيلية، مثلما استهدفت المدارس والمستشفيات. في هذا السياق، أخذ مشروع "غزة التاريخ" (https://gazahistoire.hypotheses.org) على عاتقه مهمة توثيق تاريخ هذه المواقع التراثية وعمليات تدميرها وإعادة بنائها. ويأتي هذا المؤتمر امتدادًا لعمل تجمع Gaza Histoire على مدى السنتين الماضيتين، بحيث تتيح إظهار منتجات هذا العمل.

ليست هذه العملية من التدمير الثقافي بظاهرة حديثة، ولم تكن أحداث عام 2023 إلَّا بمثابة تسريع حادٍّ لممارسات أقدم. إن فكرة محو أو منع التعبير الثقافي والحفاظ على التراث في غزة، وبصورة أعمَّ في فلسطين، هي جزء من السياسات الإسرائيلية التي تهدف إلى إخفاء التراث الثقافي الفلسطيني أو سلبه أو حتى تدميره.

ترتبط مسألة الحفاظ على التراث الفلسطيني ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الفلسطينيين رجالًا ونساء، سواءً كانوا يعيشون في أراضي فلسطين الانتدابية أو في المنفى، وكذلك بتاريخ الاستعمار. ويقع الاستيلاء على بعض المواقع التاريخية وعلم الآثار التوراتي في صميم إستراتيجية بناء السرد القومي الإسرائيلي. وهكذا، فإن التاريخ الفلسطيني حافل بأمثلة تشير إلى مركزية القضايا التراثية: القرى المهجورة أو المدمرة منذ النكبة وحتى اليوم؛ الأرشيفات والمكتبات المصادرة أو المفقودة أو المدمَّرة، ولكن أيضًا بصورة أكثر تقليدية، التلاشي التدريجي لبعض الممارسات الفنية تحت تأثير العولمة — مثل تقليد الأيقونات في مواجهة تحويل ثقافة مادية معينة إلى تراث أو حتى فولكلور، على غرار التطريز. وبالتالي، تسلط التجربة الفلسطينية في مجال التراث الضوء، من نواحٍ عديدة، على القضايا المعاصرة المتعلقة بالحفاظ على الثقافة المادية وغير المادية واستعادتها. ومن الأمثلة على ذلك مبادرات وداد كوار (الأردن) لصالح الحفاظ على الثقافة المادية الفلسطينية، أو مبادرات آن ماري شايغ (لبنان) في مجال التاريخ الشفهي الفلسطيني. وفي السياق نفسه، احتلَّ الحفاظ على المكتبات والأرشيفات المكتوبة والمرئية والمسموعة — لا سيَّما الخاصة منها — مكانة مركزية منذ وقت مبكر داخل المؤسسات الفلسطينية، مثل معهد الدراسات الفلسطينية، من خلال التمويل الخاص، أو مؤخرًا بفضل مشاريع الرقمنة التي يقودها متحف الشعب الفلسطيني، وذلك على الرغم من الغياب الطويل لسياسة أرشيفية رسمية. وأخيرًا، يؤدي المهندسون المعماريون دورًا مركزيًّا في الحفاظ على التراث المعماري، على غرار المبادرات التي يقودها مركز رواق للحفاظ على التراث المعماري.

وبالتالي، تشكل فلسطين، منذ فترة طويلة، حالة معقدة واستكشافية خصوصًا للتفكير في قضايا الحفاظ على التراث في سياق الحرب والوضع الاستعماري. ومع ذلك، يبدو أنَّ السنتين الأخيرتين قد تميزتا بتسارع عمليات القضاء على التراث الفلسطيني؛ ومن المهم إعادة وضعها في سياق زمني طويل من أجل فهم أفضل للطوارئ التراثية المعاصرة والتحركات التي تثيرها. يهدف هذا المؤتمر الدولي مساءلة الكيفية التي يُهدَّد بها التراث اليوم في فلسطين (في غزة، في الضفة الغربية، والقدس الشرقية، والأراضي الإسرائيلية الحالية) عندما لا يُدمَّر ببساطة. وستوثَّق أعمال العرقلة، وكذلك أشكال المقاومة وعمليات الحفاظ على التراث المتعدد في أراضي فلسطين وكيفية استرجاع ملكيته. ويشارك في ذلك جهات فعَّالة ثقافية واقتصادية دولية وفلسطينية، وكذلك السكان الذين يعيشون في تلك الأماكن ويحاولون البقاء فيها. وستطوَّر أوجه للمقارنة مع مناطق ثقافية أخرى ذات تراث مهدَّد أو حتى مفقود بُغية فهم خصوصيات السياق الفلسطيني.

المحور 1. التراث المكتوب: الأرشيفات وسجلات المعرفة والتمثيلات

منذ أواخر القرن التاسع عشر، احتلت فلسطين ومدنها الرئيسة مكانة بارزة في حركة النهضة الفكرية العربية، وكذلك في إحياء الدراسات الكتابية. كانت فلسطين تتمتع بالفعل بتراث مكتوب غني وكثيف، مرتبط خصوصًا بوجود الأماكن المقدسة في القدس والخليل أو صفد وبوجود المبشرين. ونتيجة لذلك، نشأت كمية هائلة من الوثائق والأرشيفات الصادرة عن الإدارات والمثقفين والمبشرين والمصورين والمؤسسات الدينية والجمعيات والأحزاب السياسية، أو حتى وكالات السياحة والصناعات والمصانع. وقد دُمِّر جزء كبير من هذه الموارد الوثائقية اليوم أو صودر لصالح مؤسسات أرشيفية إسرائيلية أو جامعي تُحف خاصين، أو حتى تشتتت مع موجات الهجرة والمنفى المتتالية. ومع ذلك، ما تزال هناك العديد من المجموعات الأرشيفية ومبادرات الحفظ — نذكر منها أرشيف قبة الصخرة أو أرشيف أبو ديس. وتكون هذه المبادرات أحيانًا من قبل أشخاص حافظوا على الفلكلور، على غرار مجموعة التمائم التي جمعها توفيق كنعان وأودعها في متحف جامعة بيرزيت. وبالمثل، تجلت الحيوية الفكرية الفلسطينية لفترة طويلة من خلال وجود العديد من المكتبات الخاصة الغنية بالوثائق. ومع ذلك، تواجه هذه المجموعات عدة صعوبات كبيرة: غياب أو ضعف السياسات الأرشيفية المنظمة؛ وهشاشة حالة بعض المجموعات، لا سيَّما الوثائق النادرة من العصور الوسطى أو العهد العثماني؛ فضلًا عن عدم كفاية الموارد المخصصة للفهرسة والحفظ وإبراز أهميتها. علاوة على ذلك، تتعرض هذه الأرشيفات باستمرار لصراعات متعلقة بالشرعية بين الإسرائيليين والفلسطينيين، والتي تتعلق في آن واحد بملكية الوثائق، وبصورة ضمنية، بالروايات التاريخية التي تسمح هذه الوثائق بتأسيسها أو إعادة بنائها. كما كشفت الحرب في غزة على نطاق واسع عن آليات إستراتيجية متعمدة لتدمير المجموعات الوثائقية والأرشيفية على نحوٍ ممنهج، أكانت مكتبات أم أرشيفات أم مجموعات تراثية أخرى.

ستتناول المساهمات في هذا المحور **الأول إستراتيجيات الحفاظ على هذا التراث واسترجاع ملكيته**، مع إيلاء اهتمام خاص لدور التكنولوجيا الرقمية خلال السنوات الأخيرة. ما آثار هذه الرقمنة على إنتاج المعرفة المتعلقة بفلسطين؟ هل يمكن لإنتاج الوثائق المزيفة أن يعيد توزيع الخطابات عن تاريخ المنطقة عندما يسمح الذكاء الاصطناعي التوليدي بإنتاج أرشيفات مزيفة؟ كيف يمكن الاستمرار في إنتاج المعرفة أرض تتعرض لتدمير الأرشيفات والوثائق أو الاستيلاء عليها؟ أيُّ تحرك وأيُّ أسلوب عمل يجب استخدامه لحماية هذا التراث المكتوب ومن هم الفاعلون المؤثرون في هذا المجال؟ وأخيرًا، ما الأسئلة القانونية التي تثيرها مشاريع الحفظ هذه؟ نرحب بصورة خاصة بالمساهمات التي تقترح وضع هذه القضايا في سياقها مع مناطق أو مساحات أخرى تواجه تدميرًا موجهًا ومنهجيًّا لتراثها المكتوب، وتسلِّط الضوء على أنماط الاستجابة لهذه التحديات في سياقها.

المحور 2. التراث المعماري

يمثِّل التراث المعماري في فلسطين، بامتياز، مساحة للتوترات التراثية. ويكفي، للاقتناع بذلك، أن نذكر الأزمة الدبلوماسية التي أعقبت إدراج اليونسكو للمدينة القديمة في الخليل، مع قبر الأجداد، على قائمة التراث العالمي. ويتسم نهج التعامل مع هذا التراث بتنوع القضايا التي يثيرها.

في المقام الأول، تبرز مسألة تدمير التراث المعماري أو استحالة الوصول إليه، سواء كان ريفيًّا أم حضريًّا، ولا سيَّما تراث القرى التي هُجِرت خلال النكبة. يضاف إلى ذلك شكل آخر من أشكال الاندثار، غالبًا ما يرتبط بضعف الاهتمام التراثي ببعض الأشكال المعمارية، لا سيَّما تلك التي تعود إلى العهود المملوكية والعثمانية أو عهد الانتداب. ويشكِّل الحفاظ على هذا التراث اليوم محور اهتمام بعض المهندسين المعماريين الفلسطينيين، الحريصين على الحفاظ على التراث والمهارات المكتسبة من مختلف فترات التاريخ الفلسطيني. على سبيل المثال، يعمل تجمع المهندسين المعماريين «رواق» على جرد التراث المعماري وتوثيقه، لا سيَّما التراث الموروث من العهد العثماني. كما تبرز مسألة الاعتراف، فضلًا عن الطرائق الفنية لترميم وإعادة بناء تراث غالبًا ما يكون موضع نزاع ومهددًا على نحوٍ متكرر بعمليات الاستيلاء أو المصادرة. وتهمُّ هذه الإشكالية خصوصًا الأماكن المقدسة، وبصورة أوسع، جميع المواقع ذات الطابع الديني على نطاق ضخم.

يثير تدهور التراث الغزِّي أو القضاء عليه عدة أسئلة. كيف يمكن توثيق عمليات تدميره وما اندثر منه؟ وكيف أتاح النمو الحضري المتسارع الحفاظ على أشكال معمارية متنوعة؟ وبالتالي كيف **يمكن** دراسة التاريخ والجغرافيا الحضرية في غياب أي أثر؟ ولتقييم هذه القضايا وتحليلها ينبغي التساؤل بوجه خاص عن أهمية وعن حفظ المصادر الأيقونوغرافية (المباني، المخططات، الخرائط) وسبل الحفاظ عليها، إذ تتيح هذه المصادر توثيق فضاءات وأقاليم وأماكن اندثرت اليوم بالكامل.

ستتيح المساهمات في هذه الجلسة طرح السؤال عن دور علماء الآثار والخبراء والمهندسين المعماريين في توثيق وحفظ الأشكال المعمارية التي اندثرت اليوم أو التي تواجه، على الأقل، تهديدًا خطيرًا. وبصورة أعمَّ، ترتبط مسألة التراث العمراني بمسألة الاهتمام الذي يحظى به وترتيب أولويات السياسات العامة، سواء كانت سياسات السلطة الفلسطينية أو وزارة السياحة والآثار (MoTA) أو غيرها من الهيئات. كما تتأثر القضايا المتعلقة بالتراث المعماري في فلسطين ارتباطًا وثيقًا بمسألة الملكية، التي تضع الأرشيفات في صميم إستراتيجيات الحفظ. وفي هذا السياق، سيكون من المناسب العودة، على المدى الطويل، إلى الاهتمام الذي يحظى به التراث المعماري الفلسطيني حسب الفاعلين والعهود: أيُّ تراث معماري يثير الاهتمام وما إستراتيجيات إضافة القيمة عليه، سواء كانت سياحية أم لا. كيف يمكن لتنظيم المعارض في الخارج أن يساهم في الحفاظ على التراث الفلسطيني؟ أخيرًا، يرتبط هذا التراث ارتباطًا وثيقًا، لا سيَّما في أوقات الحرب، بمسألة التهريب واقتصاد القطع الأثرية والتحف. في ظلِّ حالة الحصار، تنتقل القطع التراثية من غزة عبر **شبكات سرية أو رقمية**. وتنبع الإيرادات، **التي غالبًا ما يستحوذ عليها الوسطاء**، من **اقتصاد** الندرة، إذ تزداد قيمة الأصول بسبب مصدرها المتعلق بالنزاع. وتكشف هذه الديناميكية، على غرار الفترة 1939-1945، عن **التوترات بين الحفاظ** على التراث **وتحويله إلى أموال** في أوقات الأزمات.

كيف يمكن فهم خصوصية هذه القضايا وتفسيرها في ضوء الدمار المرتبط بالصراعات المعاصرة، من خلال وضعها في منظور تاريخي أوسع، في عصور مختلفة، لا سيما في ضوء ظواهر التوسع والتطورات التكنولوجية الموثقة، خاصة في السياقات الأوروبية للحربين العالميتين؟

المحور 3. التراث غير المادي

يتمثل الجانب الثالث من الممارسات التراثية في التراث غير المادي وتراث الممارسات الحية. فالممارسات اليومية والحرفية والفنية (سواء كانت إنتاجًا موسيقيًّا أو تطريزًا أو فنونًا بصرية أو مسرحًا أو رقصًا، إلخ)، والمهارات الحرفية، تتأثر بشدة بالاضطراب الذي يحيط بالنظم البيئية المرتبط بتسارع الإبادة الجماعية للاستعمار في فلسطين، فالهجمات الإسرائيلية على التراث غير المادي، في أبعاده الحرفية والثقافية والشعبية والفنية، ليست بجديدة، وفكرة القضاء على الثقافة هي فكرة محورية في السياسة الاستعمارية الإسرائيلية، منذ عمليات التدمير التي وقعت عام 1948 في فلسطين تحت الانتداب. شهدت سنوات الاحتلال العسكري من عام 1967 وحتى التسعينيات من القرن الماضي قيام إسرائيل بوضع سياسة تهدف إلى منع أيِّ شكل من أشكال التعبير الثقافي الفلسطيني، من خلال إغلاق صالات العرض الفنية ودور السينما والمسارح وحظر المهرجانات. فرضت عملية أوسلو ثم الانتفاضة الثانية بعد عام 2000 قيودًا جديدة على التنقل وفرضت تصاريح تمنع التنقل الثقافي. لكنَّ السنتين الأخيرتين تشكلان مرحلة إضافية لهذه العملية المستمرة، على نحوٍ ممنهج في غزة حيث استهدفت الهجمات على التراث أيضًا شخصيات وأشخاص فاعلين في مجالات الثقافة مثل الصحفيين أو الفنانين، على غرار ممثلي المهن الأخرى (من الصحفيين والأطباء والأكاديميين).

يمكن للمساهمات أن تطرح أسئلة حول التحديات التي يطرحها استهداف هذا التراث في فلسطين أو في أي مكان آخر، نظرًا لأنه ينطوي على جوانب متعددة: وهكذا، تتقاطع بعض ممارسات التراث غير المادي أيضًا مع الممارسات الاقتصادية، مثل حصاد الزيتون أو إنتاج الصابون، لا سيما في نابلس. هذه الممارسات، مثلها مثل التراث غير المادي برمته، مهددة بشدة بسبب حجم التدمير البيئي الماضي والحالي، وتلوث التربة، وخصوصًا في وادي غزة. ما الذي يُستهدف في الحياة الفلسطينية، عند تقاطع الإنتاج، وتأكيد الهوية الجماعية، والتعبير الفني، من خلال استهداف التراث غير المادي؟ من ناحية أخرى، يواصل الفنانون والمثقفون، وكذلك الأشخاص العاديون، على الرغم من الدمار، نقل الإرث الثقافي والإبداع، وهو ما يمثِّل شكلًا من أشكال المقاومة الحية، سواء كان ذلك من خلال أشكال إبداعية شخصية أو جماعية: دفاتر الرسم، وورش العمل الموسيقية، وغير ذلك. وبالتالي، يمكن للمساهمات أن تحلِّل كيف يتحرك الفنانون والممارسون الثقافيون في مواجهة التدمير، وكيف تعيد الممارسات والتخيلات تشكيل نفسها لمقاومة هذا البيئة وتشكيل ممارسات ومرجعيات حقيقية للبقاء. من هم الفاعلون والفاعلات في هذه الممارسات التي تهدف إلى إحياء ممارسات الذاكرة وما دور التوريث بين الأجيال؟ وبصورة أعم، كيف تسمح الممارسات الثقافية والفنية بالحفاظ على الأمل والتوريث بين الأجيال؟ يمكن إيلاء اهتمام خاص **لدراسة أساليب الحفاظ على الممارسات الثقافية غير المادية ونقلها** من قبل **النازحين واللاجئين وأفراد الشتات الفلسطيني**، من خلال مساءلة **آليات الصمود أو التكيف أو اندثار** هذه الممارسات في ظروف المنفى.

المحور 4: **إعادة بناء التراث المندثر**

بصورة أعم، يمكن تخصيص محور أخير لمسألة إعادة بناء أو استعادة التراث المدمَّر أو المندثر. ويمكن للمداخلات، من خلال تحليل الخطابات، أن تدرس السرديات المتنافسة المحيطة بمشاريع إعادة البناء. ونفكر هنا، على وجه الخصوص، في مواقف عبّر عنها دونالد ترامب بشأن التنفيذ المحتمل لمشروع من نمط "ريفييرا" في موقع مدينة غزة الحالية. كما يمكن للمساهمات أن تتناول الاستجابة القانونية الدولية بغية مساءلة سلطة الجهات الفاعلة المنخرطة في عمليات التعويض وإعادة الإعمار. سيتعلق الأمر إذن بتحليل هذه المشاريع من منظورها التنافسي، وأيضًا من حيث ما تكشفه عن التوقعات السياسية والاجتماعية المتوخاة لمستقبل هذه الأراضي. ويمكن أن تبحث المقترحات أيضًا **في الاستجابات القانونية الدولية** (الاتفاقيات، القرارات، آليات العقوبات) **وتستفسر عن دور وشرعية وفعالية عمل** الجهات الفاعلة المشاركة في **إجراءات التعويض وإعادة الإعمار.**

يمكن أن يتناول هذا المحور أيضًا القضايا المتعلقة باقتصاد ترميم التراث وقطاع البناء والتشييد، من خلال دراسة الأوهام أو الكوابيس التراثية المرتبطة بهذه التوقعات ومحاولات إعادة الإعمار، سواء تعلق الأمر بالتراث المعماري أو التراث المادي بصورة عامة. ويمكن أن نذكر مثلًا المبادرات الرامية إلى إعادة تكوين جزء من المخطوطات المستمدة من مقتنيات المسجد العُمري الكبير في غزة، والتي بدأت بالفعل؛ ثمَّ سيكون من المناسب العودة إلى كلٍّ من المشاريع الموضوعة، والمبادئ التراثية، والطرائق الفنية التراثية والمعمارية، وبصورة أوسع، إلى الماديات المتوخاة لتنفيذ عمليات إعادة البناء أو إعادة التكوين هذه. ويمكن أيضًا إيلاء اهتمام خاصٍّ لإعادة التكوين الافتراضية أو الرقمية، سواء كانت نماذج ثلاثية الأبعاد أو أجهزة تصوير تسمح باستعادة الحقائق الحضرية والاجتماعية المفقودة.

أخيرًا، يمكن ربط مسألة إعادة البناء، ولا سيَّما إعادة بناء المجموعات الوثائقية، بمسألة الاستعادة. وبالتالي، يمكن أن تربط المقالات البحثية بين قضايا إعادة البناء والمطالبات المحتملة باستعادة القطع أو الأدوات الأثرية، أو الأعمال الفنية، أو التراث المكتوب، أو المجموعات المخطوطة التي تطالب بها السلطات الفلسطينية، سواء كانت من السلطات الإسرائيلية أو من القوى الاستعمارية السابقة، وكذلك من الدول والمؤسسات في أوروبا أو أمريكا الشمالية التي تمتلك هذا النمط من التراث.

****

يجب إرسال مقترحات المقالات باللغة الإنكليزية أو الفرنسية إلى عناوين البريد الإلكتروني التالية: veronique.bontemps[at]cnrs.fr, norig.neveu[at]univ-amu.fr, syrine.saltaji[at]univ-paris1.fr في موعد أقصاه 15 تشرين الأول/أكتوبر 2026؛ وسيتلقى المرشحون ردًّا في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر التالي. يجب أن تشير الملخصات إلى المصادر والمجالات التي ستستند المقالة البحثية إليها، ويجب ألا تتجاوز 500 كلمة وأن تكون مصحوبة بعرض موجز عن المؤلف/المؤلفة (250 كلمة كحدٍّ أقصى).

سيُعدُّ المؤتمر كتابًا جماعيًّا. وبالتالي، يجب إرسال المساهمات الأولية فيه بحلول 15 نيسان/أبريل 2027 حتى يتسنى التحضير للنقاشات. وعند انتهاء المؤتمر، من المتوقع تقديم نسخة أولية من المقالة بحلول 15 كانون الأول/ديسمبر 2027 (من المقرر النشر في أواخر 2028 - أوائل 2029).

لجنة التنظيم:
رافائيل بان-ليفيك
فيرونيك بونتان
فاديم ديلي
سيباستيان هول
فلور هينريش
ماريون لوريا ماسيه
نوريغ نُفو
سيرين السلطجي
فابريس فيرجيلي